

هذه الحلقة درس في علاقة الراعي برعيته والقائد

في كتيبته، ودرس ثاني في أهمية التبشير بالنصر،

وبث روح التفاءل في نفوس الجند، ودرس ثالث في

بركات الجهاد وكرامات المجاهدين، ودرس رابع في فضل

المكائد الحربية، ودرس خامس في حرب الرسائل، ودرس

آخر - في هذه الحلقة - حول تدارك الثغرات والثلمات فقد

يأتى المجتمع الحريز من ثغرة هينة ومعظم النار من مستصغر الشرر.

القائد بين جنوده :

قال جابر - رضي الله عنه - :

إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ فَعَرَضْتُ كُدِيَّةً [أي صخرة] شَدِيدَةً، فَجَاءُوا النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالُوا هَذِهِ كُدِيَّةٌ عَرَضْتُ فِي الْخَنْدَقِ فَقَالَ: " أَنَا نَازِلٌ " ..

ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ - وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَدُوقُ ذَوَاقًا - فَأَخَذَ النَّبِيُّ - ﷺ - الْمَعْوَلَ فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيرًا أَهْيَلًا - أَوْ أَهْيَمَ -، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَذَنُّ لِي إِلَى الْبَيْتِ . فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: رَأَيْتِ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ! فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟

قالت: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقُ [وهي أنثى المعز].

فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - وَالْعَجِينُ قَدْ انكَسَرَ وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَائِي [أي الحجر الذي توضع عليه القدر] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعِيمٌ لِي، فَقُمِ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: "كَمْ هُوَ؟" .. فَذَكَرْتُ لَهُ .. قَالَ: "كَثِيرٌ طَيِّبٌ" .. قَالَ: "قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتِي" .. فَقَالَ: "قُومُوا" .. فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ!! فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ! جَاءَ النَّبِيُّ - ﷺ - بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ ..

قالت: هَلْ سَأَلَكَ؟

قال: نَعَمْ

فلما أقبل رسول الله - ﷺ - بأهل الخندق

✍ قَالَ: "ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغُطُوا" ..

[قَالَ جَابِرٌ : فَجَلَسَ وَأَخْرَجَ جَنَاهَا (يَعْنِي الشَّوِيهَةَ) إِلَيْهِ . قَالَ فَبَرَّكَ وَسَمَّى اللَّهَ] [ابن

هشام ۲ / ۲۱۸]

فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيُحْمَرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ يَنْزِعُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ قَالَ : "كُلِي هَذَا ، وَاهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمُ مَجَاعَةٌ" .. [البخاري : (٣٧٩٢)].

في هذا المشهد، نرى نبينا ﷺ - بين جنوده، في خدمة جنوده، في أول المشهد وآخره ..

فكان في خدمتهم لما عَرَضَتْ عليهم صخرة شديدة، فقال في تواضع جم: "أنا نازل"، وتحرك بمعوله الكريم صوب الصخرة؛ لينسفها نسفاً، وهو أشجع الشجعان، وأقوى الرجال.

وكان في خدمتهم في آخر المشهد، لما جاء جابر وقد أعد "طعيم" - على حد قوله -
لرسول الله - ﷺ -، فما كان من القائد أن أطمع جنوده بنفسه، ووقف يوزع لهم الطعام
بشخصه، حتى إذا ما أكلوا وشبعوا أكل هو.. !

إنها القيادة الرشيدة التي تهوى إليها الأفئدة بمثل هذه السلوكيات الكريمة، والأخلاق الحميدة، فما كان النبي - ﷺ - ليرضى أن يطعم طعامًا قبل رجاله، وهو الذي يصبرهم على العوز، وليس من أخلاقه أن يجلس إلى الموائد الشهية الفاخرة خلصة من وراء جنوده، أو أن يتميز عنهم في طعام أو شراب ..

وهذا درس لقادة الدعوات الذين أفلحوا في التنظير، ولم يفلحوا في كسب احترام جماهير المدعويين، ونجحوا كواجهة دعائية ولم ينجحوا كقدوة تربوية، وأجادوا وأبانوا العلم والفكر والدعوة، وفشلوا فشلاً ذريعاً في نصب راية الدعوة في ميدان الحياة، فضلاً عن مجتمع الدعاة الأقران. وخليق بجميع الدعاة كباراً وصغاراً؛ أن ينزلوا إلى ساحة المدعويين وإلى ميدان العمل ومشاركة الناس همومهم وتحطيم صخور أحزانهم بمعاول الإيمان والقرآن، وليقل ذلك الداعي الساكن في البرج العاجي: "أنا نازل"، أي إلى الشارع والحي والمجتمع، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

إن الفطنة والألمعية والجهدة لن تفلح ما دامت نائمة في رؤوس العلماء والدعاة ولم تخرج إلى واقع الحياة ! كزير الماء الذي أحكم غلقه ولم يشرب منه أحد .

❦ أهمية التبشير بالنصر والفتوحات وقت المحن :

إن من أخلاقيات القيادة الإسلامية في ميادين القتال، التبشير بالنصر والتفاؤل بالظفر، والعمل الإعلامي الجاد المتواصل في بث روح الثقة في نصر الله ومده ..
ففي مشهد الكدية التي عرّضت على الرجال، وقام رسول الله - ﷺ - وأخذ المِعْوَل، ليحطم الصخرة التي أرهقت الجنود، قَالَ :

" تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ..

فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ ! وَسَلَّمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ! فَبَرَقَ مَعَ صَرْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بَرَقَةٌ .. ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، وَقَالَ :

" تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ..

فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخِرُ، فَبَرَقَتْ بَرَقَةٌ !! فَرَأَاهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقَالَ :

" تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ..

فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ ..

قَالَ سَلْمَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ مَا تَضْرِبُ صَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرَقَةٌ !!

❦ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :

" يَا سَلْمَانُ .. رَأَيْتَ ذَلِكَ ؟؟ "

فَقَالَ : إِي، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : " فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا

حَوْلَهَا، وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ "

قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُعْثِمَنَا

دِيَارَهُمْ ... !!

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِذَلِكَ .

❦ قَالَ : " ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ، وَمَا حَوْلَهَا، حَتَّى

رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ "

قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغْنِمَنَا دِيَارَهُمْ ...

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِذَلِكَ

"ثُمَّ صَرَبْتُ الثَّالِثَةَ فَرَفَعْتُ لِي مَدَائِنُ الْحَبْشَةِ، وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، حَتَّى رَأَيْتُهَا بَعَيْنِي"

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "عِنْدَ ذَلِكَ: "دَعُوا الْحَبْشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ" [النسائي: (٣١٢٥)، وصححه الألباني].

أَرَأَيْتَ هَذَا النَّبِيَّ الْعَظِيمَ وَهُوَ فِي كُرْبَةِ الْحَرْبِ وَقَدْ تَكَالَبَ الْقَاصِي وَالِدَانِي عَلَيْهِ وَوَأَشَكَتِ الْمَدِينَةُ أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا مَبَاحًا لِلْأَعْرَابِ وَالْيَهُودِ - تَرَاهُ كَالطُّودِ الشَّامِخِ وَالْعَلَمِ الرَّاسِخِ يَثْبُتُ الْأَرْضَ مِنْ حَوْلِهِ، وَيَرْسُخُ الْإِيمَانَ فِي جَنْدِهِ، وَيُنْشِرُ أَحَادِيثَ الْبَشَائِرِ، وَأَخْبَارَ الْفَتْوحَاتِ، وَأَنَاجِيلَ النُّصُرِ، وَفَتْحَ أَوْرَبَا وَأَسْيَا وَأَفْرِيقِيَا .. فَيَثْبُتَ الْجَنْدَ، وَيُخَفِّضُ عَنْهُمْ .. وَهُوَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تُحْيِي النُّفُوسَ؛ يَسْلِيهِمْ، وَيُخَفِّضُ عَنْهُمْ، وَيُخَفِّضُ جَنَاحَهُ لَهُمْ، وَيَرْوِّفُ بِهِمْ، وَيَرْحَمُهُمْ .

فَمَا أَحْوَجُنَا إِلَى الدَّاعِيَةِ الْمُبَشِّرِ لَا الْمُنْفِرِ، الْمُسِّرِ لَا الْمُعَسِّرِ، الْمُعْتَدِلِ لَا الْمُنْتَطِعِ، الْمُتَوَسِّطِ لَا الْمُتَكَلِّفِ.

الدَّاعِيَةُ الَّتِي يَغْرُسُ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَالنَّشْءِ بَذَارَ الْإِيمَانِ وَالثِّقَةَ بِنُصْرِ اللَّهِ، وَالَّذِي يُوَكِّدُ لِلنَّاسِ مَرَارًا أَنَّ الدَّائِرَةَ لِلْإِسْلَامِ وَأَنَّ اللَّهَ مَتَمُّ نَوْرِهِ وَأَنَّ الْغَلْبَةَ لَدَيْهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالتَّمَكُّينَ لَجُنُودِهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ .

بركات ومعجزات :

وَعِنْدَمَا يَنْهَمُكَ الرِّجَالُ فِي الْعَمَلِ الْجِهَادِيِّ الْخَالِصِ، سِرْعَانِ مَا يُعَايِشُونَ كِرَامَاتِ الْمُجَاهِدِينَ وَبَرَكَاتِ الْجِهَادِ، تِلْكَ الْبَرَكَاتُ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَتَجْعَلُ مِنَ طَعَامِ الْوَاحِدِ مَا يَكْفِي لِمِائَاتٍ ..

قَالَتْ بِنْتُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ :

دَعَانِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فَأَعْطَتْنِي حَفَنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ، أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالَكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْدَائِهِمَا ، قَالَتْ فَأَخَذْتُهَا ، فَانْطَلَقْتُ بِهَا ، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالَي ، فَقَالَ : "تَعَالِي يَا بُنْيَةُ مَا هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا تَمْرٌ بَعَثَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ وَخَالَي عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ . قَالَ :

"هَاتِيهِ"، قَالَتْ: فَصَبَّبَتْهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَمَا مَلَأَتْهُمَا! ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبَسِطَ لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: "أُصْرِخْ فِي أَهْلِ الْخُنْدَقِ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ!". فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخُنْدَقِ عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ! وَجَعَلَ يَزِيدُ! حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخُنْدَقِ عَنْهُ وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ!! [ابن هشام ٢ / ٢١٨].

وفي هذا المشهد على ما فيه من المعجزة الحسية المبيّنة، أن أنمى الله الطعام في يدي رسول الله - ﷺ - بهذا الشكل العجيب، فطعم طعام الكف الجيش عن بكرة أبيه - وفي ذلك تثبيت للقلوب في هذه الظروف التي قال فيها المناقون: "ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا" ... - إلى جانب هذا المشهد الإعجازي نرى مشهد البركات التي يصبها الله صبا للمجاهدين، تلك الكرمات التي تتجلى في مشاهد الجهاد، وهي كرمات لن تعدنها ساحات الوغى ما دام المجاهد أقبل إلى الله بقلب صادق منيب. وكلاهما - مشاهد المعجزات للنبيين ومشاهد الكرمات للمجاهدين - تنزل ليربط الله على قلوب المؤمنين، ويمددهم بين الفينة والأخرى بمدد من عنده، حتى يمنحهم أكتاف العدو. فاصدق جاهدك، يصدقك الله في التثبيت.

الحصار:

لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْخُنْدَقِ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ، بَيْنَ الْجُرُفِ وَزَغَابَةِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، مِنْهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلُ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْمَى، إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ [ابن هشام ٢ / ٢١٩].

فلما تقدموا، وكانت مفاجئة الخندق، قالوا: إِنَّ هَذِهِ مَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهَا [ابن القيم: زاد المعاد ٣ / ٢٤٠]

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ وَالْخُنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ .. وَأَمَرَ بِالْذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ فَجَعَلُوا فِي الْأَطَامِ [أي الحصون] [ابن هشام ٢ / ٢١٩، ٢٢٠].

ومن ثم أراك تدرك حكمة النبي - ﷺ - في الرد على رسالة أبي سفيان هذه، على ما عُرف عن الأخير بالغوار البعيد في الدهاء والحُبِّ وجلال الخُطط، وكيف قام النبي - ﷺ - بتنفيذ خطاب أبي سفيان، فقرة فقرة، وجملة جملة، فدمغه فإذا هو زاهق قد زوى أثره، وصاحبه أسيف حسير، كمن ألقى قبلة مسيلة للدموع في جهة فتلقفها القوم سراعاً قبل انفجارها؛ فَرُدَّتْ عليه فانفجرت فيه .

❧ **بل تراه - ليردعه - ينكأ له جرحه القديم في بدر، قائلاً : " وقديماً غرك بالله الغرور ."** وتراه يلوذ بحول الله ولا يتكبر فيقول : " أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه " ، وتراه يستبشر لجيشه ويشبط عدوه فيقول : " ويجعل لنا العاقبة " .. وينفث الرعب في قلب أبي سفيان ومن خلفه، فيقول : " وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافاً ونائلة وهبل " .. ويوبخه قائلاً : " حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب " هكذا يلقم القائد هذه المحاولات التي تهدف إلى زعزعة النفوس وخلخلة القلوب، فيردها على العدو وبالأكثر الحريق المتسعر .

❧ **الحراسته وتدارك الثغرات ومتابعتها :**

وكان الرسول - ﷺ - يختلف إلى ثلثة في الخندق. تقول عائشة رضي الله عنها: وكان يذهب إلى تلك الثلثة، فإذا أخذه البرد جاء فأدفأته في حضني، فإذا دفيء خرج إلى تلك الثلثة ويقول: ما أخشى أن تؤذي المسلمون إلا منها، فبينما رسول الله - ﷺ - في حضني صار يقول : " ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثُلُمة الليلة "، فسمع صوت السلاح، فقال رسول الله - ﷺ - : " من هذا؟ " .

❧ **فقال سعد بن أبي وقاص: " سعد، يا رسول الله أتيتك أحرسك !"**

❧ **فقال: " عليك هذه الثلثة فاحرسها " ..**

ونام رسول الله - ﷺ - حتى غط، وقام في قبهه يصلي لأنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [الحلي ٢ / ٦٢٨]

ثم خرج من قبهه، فقال: " هذه خيل المشركين تطيف بالخندق " .. ثم نادى : " يا عباد بن بشر " ..

✍ قال: ليك

~~قال~~ : "هل معك أحد؟"

✍ **قال:** نعم أنا في نفر حول قبتك يا رسول الله .

وكان ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ - يحرسها - فبعثه يطيف بالخندق، وأعلمه بأن

خيل المشرकिन تطيف بهم [الحلبي ٢ / ٦٢٨]..

ولما استأخر المشركون الفتح، تيمّموا مكائناً ضيقاً من الحندق، فصرّوا خيلهم فافتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الحندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب - عليه السلام - في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، ففسدوا هذه الثغرة [ابن هشام ٢ / ٢٢٤].

إن في ذلك لعبرة لمن احتاط تمام الاحتياط ثم ترك في جُنته ثُلْمة ولو بمقدار قيد أنملة ...

وهو درس يشي باهتمام رسول الله ﷺ - بثغور الوطن، ويحث المسلمين على الرباط والحراسة في سبيل الله فيقول : "ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثُلَمَةَ الليلية" .. وهو القائل : "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [الترمذي : ١٥٦٣ ، عن ابن عباس ، وصححه الألباني] .

والحراسته في سبيل الله كالجهاد سواء بسواء، فقال - ﷺ - :
 " رِبَاطٌ يَوْمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ
 خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا
 وَمَا عَلَيْهَا " [البخاري : ٢٦٧٨ ، عن سهل بن سعد] .

وتراه يقطع نومته إلى الصلاة تارة وإلى جنوده تارة أخرى محذراً إياهم قرصنة من العدو ، قائلاً : "هذه خيل المشركين تطيف بالخندق" . . ثم نادى : "يا عباد بن بشر" - ليكلفه بمهمة المتابعة، فكان جواب الجندي لقائده - في رباط وجأش - :

!!! "ليك"

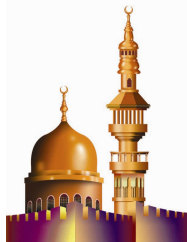
هكذا لبَّاهُ . فالجندي المسلم يرى طاعته لقائده عبادة يُثاب عليها، فتره يحجب قائده بأطايب الإجابات مثل: " لبيك " ، و " سمعاً وطاعة " ..

وهكذا كانت الحراسة في سبيل الله عبادة عظيمة، وسد الثغرات الحربية عبادة عظيمة، وسرعة استجابة الجندي لقائده عبادة عظيمة.

إن هذا الجيل الفريد عاش العبادة بكل معانيها وفي كل مناحيها... حتى النخاع. فلقد تعلموا الحراسة في سبيل الله كما يتعلم أحدهم الصلاة، وتريضوا على سد الثغرات الأمنية كما يتريض الطفل للصيام، ولم يكن يُثني أحدهم عطفه - في قحة - عند تلقي التعليمات والتكليفات، بل كانت كلمة الطاعة تنطق بها كل ذرة في أنفسهم. لبيك، لبيك....

يا شباب! قد كثرت ثلمات الأمة فمن الحارس؟ وقد كثرت ثغرات المسلمين فمن الفارس؟ فامضوا إلى كتية التوحيد منيين، في مجتمع الإيمان والإخاء منضبطين، ولا تُفزعنكم رسائل العدو ونفته ونفخه، أنتم أقوىاء بالله ولو حاصركم أهل الأرض!

تطبيق هذا الحديث الشريف: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"



الغازي وتخابروا ضد الأحلاف وأذعروا قومهم...

❏ قَالَ لَهُ: أَجَلٌ ..

❏ **قال** : لا حاجة لي بذلك.

❏ **قال :** فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ.

﴿فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي؟ فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ﴾

❖ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: لَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ!!

فَحَمَىٰ عَمْرُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَرَهُ، وَضَرَبَ وَجْهَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ عَلِيٍّ
فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مُنْهَرِمَةً حَتَّى افْتَحَمَتْ مِنْ
الْحَنْدَقِ هَارِبَةً" [ابن هشام ٢ / ٢٢٤].

ذاك الإمام السيد الضرغام في إحدى صولاته .. إنه مشهد يُحيي البطولة الحقّة في النفوس، بعدما زاغ الناس بمفهوم البطولة إلى ساحات الملاعب والمراقص، فصار "البطل" هو اللاعب الذي يركل الكرة في الشباك، وصار "رأس الحربة" و "المُهاجم" الذي سقط مخ رأسه إلى مخ ساقه؛ فالكل ينظر إلى موضع قدمه لا إلى

موضع عقله؛ فذلك هو البطل المزعوم، ومثله بطل الفيلم وبطل التمثيلية وبطل المسرحية... وكثير هؤلاء الأبطال في ميادين الخلاعة والخلابة ممن تُرسم له التصاوير على الملابس، وأكياس البطاطس المقلي، وعُلب الحلوى.. وهؤلاء الأبطال الباطلون إذا تدبرت أمرهم تجدهم في أخلاقهم من السفلة والحشوة، وطعام الفسقة، ورعاع الناس، يحاربون كل فضيلة ويمحقون في نفوس الناس كل قيمة كريمة.

نحن في ميسس الحاجة لإحياء معاني البطولة الإسلامية، والشجاعة الحربية، والأعمال الخيرية في شتى ميادين الحياة، فهذه هي البطولة التي تبني ولا تهدم، وليست كتلك البطولة المزيفة التي تحرك الغرائز.

وفي مشهد البطولة الذي نراه هذا، نرى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقف - وهو الشاب الصغير - أمام سيد فرسان العرب وأجلدهم وأشدّهم بأساً، حيث قام عليّ له لَمّا قال مراراً: "مَنْ يُبَارِزُ؟" ولم يقم له أحد.

فانبرى له الأسد، ودعاه إلى الإسلام فأبى، فدعاه إلى النزال، وقال: "لِمَا ابْنَ أَحِي؟ فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ!"، قال ذلك استصغاراً لعلّي، ولصدقة قديمة كانت بين عمرو بن ودّ وأبي طالب.

فقال الهَيَضُرُ المقدام - في شجاعة وحماسة - : "لَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ!!" .. فاغتاز عمرو بن ود، وظن الناس أن الفتى هالك أمام شيخ فرسان العرب، ولكن سرعان ما بدى عليّ الغضنفر الهَضُور، وخصمه هو الضيغم الصغير...

وذكر ابن إسحاق أن المشركين بعثوا إلى رسول الله - ﷺ - يشترّون جيفة عمرو بعشرة آلاف، فقال رسول الله - ﷺ - : -

"هول لكم ولا تأكل ثمن الموتى" [السيرة الحلبية ٢ / ٦٢٨]

ولما أقبل علي - رضي الله عنه - بعد قتله لعمر بن عبد ود على رسول الله - ﷺ - وهو متهلل، قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلا سلبتك درعه، فإنه ليس في العرب درع خير منها؟ قال: إني حين ضربته استقبلني بسوءته فاستحييت يا ابن عمي أن أسلبه [ابن كثير: السيرة النبوية ٣ / ٢٠٥]

وفي رواية : عن عن عكرمة أن نوفلاً تردى به فرسه يوم الخندق فقتل فبعث أبو سفيان إلى النبي - ﷺ - بديته مائة من الإبل فأبى النبي - ﷺ - وقال : "خذوه فإنه خبيث الدية خبيث الجثة" [ابن أبي شيبه (٣٦٨٢٤)]

وفي رواية قال ﷺ : " هو لكم ، لا نأكل ثمن الموتى " [البيهقي : دلائل النبوة (١٣٢٠)]

قال السرخسي : " وإنما كره هذا لئلا ينسب إلى المسلمين ما لا يليق بمكارم الأخلاق ، فقد كان عليه السلام يقول : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [شرح السير الكبير ١ / ٤٨٤].

وبهذا الموقف يكون لرسول الله - ﷺ - السبق في تحريم أكل ثمن الجثث ، وهو بذلك يظهر لأعدائه الجانب الأخلاقي في الحروب ..

شأن القتل الخطأ بين المسلمين في أرض المعركة :

عن جابر - رضي الله عنه - قال :

خَرَجْتُ طَلِيعَتَانِ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْخَنْدَقِ لَيْلًا فَالْتَقَتَا تَحْتَ اللَّيْلِ وَلَا يَشْعُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمُ الْعَدُوُّ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ جِرَاحَاتٌ وَقَتْلَى . ثُمَّ تَنَادَوْا بِشِعَارِ الْإِسْلَامِ فَكَفَّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ :

"جِرَاحَاتُكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. وَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ فَهُوَ شَهِيدٌ" [السرخسي : شرح السير

الكبير ١ / ١١٤]

ولذلك يقول بعض العلماء : " إِذَا التَقَتِ السَّرِيَّتَانِ لَيْلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ تَرَى أَنَّ صَاحِبَتَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَاقْتَتَلُوا فَأَجْلَوْا عَنْ قَتْلِ ثُمَّ عَلِمُوا ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ مِنْ دِيَّةٍ وَلَا كَفَّارَةٍ . لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّرِيَّتَيْنِ بَاشَرَتْ دَفْعًا مُبَاحًا ، فَقَدْ قَصَدَتْ كُلُّ سَرِيَّةٍ إِلَى الْأُخْرَى ، وَإِنَّمَا قَتَلَتْهَا الْأُخْرَى دَفْعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ . وَذَلِكَ دَفْعٌ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا فَلَا يَكُونُ مُوجِبًا دِيَّةً وَلَا كَفَّارَةً " [شرح السير الكبير ١ / ١١٤].

وهؤلاء المؤمنون الذي كانت بينهم جراحات وقَتْلَى ، قد كتب الله لهم جميعاً الثواب الجزيل ، وإنما الأعمال بالنيات ، فجراحاتهم التي تمخضت عن سيوف

إِنَّهُ مِنْ يَتَّقُ وَيَصْبِرُ اللَّهُ يَخْضَعُ، وَيَضْرَعُ، يَرْفَعُ عَنْهُ الْبَلَاءَ، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ الْخُفَاءَ الْأَرْضَ﴾ أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿[النمل: ٦٢].

إن هذا هو شأن القادة الإسلاميين مع الله، في العسر واليسر، كانوا قادة وقدوة، وسادة وأسوة، ليس من شيمتهم العريضة واللهو والغفلة، إنما من شيمتهم قيام الليل وصيام النهار، ودعاء المضطر .

❦ أهمية الصلاة وقت الحرب :

فَعَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: "مَلَأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ" [البخاري : (٣٨٠٢)].

وقد جعل عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ جَعَلَ يَسُبُّ كُفَارَ قُرَيْشٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كِدْتُ أَنْ أَصْلِيَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : "وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا!!" .. قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: فَتَزَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - بِطُحَانٍ فَتَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ، وَتَوَضَّأْنَا لَهَا، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ [البخاري : الأحزاب (٣٨٠٣)].

فلا يخفى عليك في هذا الدرس أهمية الصلاة في جميع أوقات المسلم وأنفسها وأشدّها، بل تزداد أهمية الصلاة أكثر وأكثر في ساعات القتال، فالمسلم أحوج ما يكون فيها إلى الله، وهي رَوح له وريحان في وقت تتطاير فيه الرقاب، ويفر فيه الشجعان إلا من ثبته الله، وأحرى بالصلاة وسيلة لذلك، فمن أراد الثبات فعليه بعماد الدين .

انظر كيف حزن الصحابة حزناً شديداً على صلاة العصر التي فاتتهم في يوم من أيام الخندق حيث الحصار والبرد، والنّفق واللفح، فلم تفوتهم صلاةٌ واحدة أيام الأحزاب سوى هذه الصلاة، فما بال أقوام ضيّعوا ركن الإسلام في المنشط فضلاً عن المكروه، وفي اليسر فضلاً عن العسر .. إن هؤلاء قد حادوا عن سبيل المؤمنين . فأولى لهم...!

❦ قريظة تخون الدولة الإسلامية

وفي أثناء الحصار المضروب على المدينة المنورة، انشق فصيلٌ من فصائل المدينة على القيادة والشعب والوطن .. وكان الأصل - حسب بنود الوثيقة المكتوبة بين فصائل

وَأَنْتَ - حفظك الله - ترى كيف يفتخرُ هذا الرِّعْدِيدَةُ الخائن "حُيَي" بخيانتته وكيف جمع جيوش الوثنية لحرب الدولة الإسلامية التي يعيش اليهود في وافر ظلالتها آمنين لهم ذمة الله ورسوله . ثم تأمل شهادة الأعداء، والحق ما شهد به الأعداء، إذ قال كعب : "وَيْحَكَ يَا حُيَيَّ ! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرْ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً" !!! ثم لازال الأول يزين للثاني الغدر ونقض العهد، حتى اتفق لهم الرأي على ذلك، فهم لا يتفقون إلا على خراب الأرض وفساد الشجر والثمر، فخاب وخسر من وثقتهم أو وثق لهم.

الدبلوماسية الإسلامية وقت الأزمات :

ولما انتهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - خبر نقض العهد من قريظة، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وفدًا دبلوماسيًا إلى ديار بني قريظة لتحرير الخبر، ولتجديد العهد، ولتحذيرهم من مغبة نقض العقد، أوالتعاون مع العدو المحتل، وكان على رأس هذا الوفد المبارك القيادات الإسلامية الآتية :

١ - سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، سَيِّدُ الْأَوْسِ .

٢ - سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، سَيِّدُ الْخَزَرَجِ

٣ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، الشاعر

٤ - خَوَاتُ بْنُ جُبَيْرٍ، من بني عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

فَقَالَ لَهُمْ نَبِي الْحِكْمَةِ - ﷺ - : " انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا ، أَحَقَّ مَا بَلَّغْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لِحَنَّا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَقْتُلُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ " [ابن هشام ٢ / ٢٢١] .

فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ؛ فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثَ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْهُمْ، ورفع الوفد الإسلامي إلى القائد العام - ﷺ - التقرير التالي :

١ - نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، فسبوه علنًا أمام الوفد.

٢ - نقضوا العهد، بل أنكروه، وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ؟ لا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَقْدَ .

٣ - سَأَلْتَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَأَلْتَهُمْ - وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ - فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ :

دَعْ عَنْكَ مُشَايَمَتَهُمْ فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنَ الْمُشَايَمَةِ .

قال الحارث المخزومي :

إن الوشاة قليل إن أطعتهم ... لا يرقبون بنا إلا ولا ذمما

إن على المسلم في مثل هذه النوازل أن يدفع هذه الأراجيف ولا يدعها تفت في النفوس، وعليه أن ينف الوشاية والشائعات وأن يذب عن أعراض المجاهدين خاصة قيادة المسلمين وإمامهم، ولا يلج في شيء مُلتبس حتى يتبين له الصواب فيه، وتستوضح له الحقيقة.. وعليه أن يسهم في كل ما هو من شأنه تثبيت الناس وتشجيع المقاتلين، واستنفار الهمم، والتشجيع للمجد، والذود عن حياض سيد المرسلين :

فمن يحمي حمى الإسلام أم من ... يذب عن المكارم أو يذود ؟

دارات هذه الصفحة التي بين يديك - أخي - بين شجاعة علي بن أبي طالب، ونكسة المعوقين الفاشلين . وبين أخلاقيات الحرب عند المسلمين - حتى أنهم ليتعففون عن أكل ثمن الموتى - وبين خيانات اليهود الثابتة المتكررة عبر حقب الزمن وكان حال القيادة الإسلامية - على مدار هذه الصفحة التي تقرأها - هو حال الحكيم المتضرع العابد. فقد رأيت النبي ﷺ - يُصَرِّفُ الأمور في المعركة الداخلية، وفي المحاصرة الخارجية، بحكمة فائقة وعبقريّة فذة، وهو في أثناء ذلك النبي الخاشع المبتهل لربه، مع الإهراع إلى الصلاة بين ساعة وأخرى .

مدرسة حول خيانات اليهود عبر العصور



1

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿[الأحزاب: ١٠، ١١]﴾

وهكذا يهتف المسلم الصادق في الناس في أيامنا هذه التي ساد فيها العدو وغلب :
 "الله أكبر" ، فالمسلم لا يخشى إلا الله ولا يخشى في الله لومة لائم ... "أَبَشِّرُوا يَا مَعْشَرَ
 الْمُسْلِمِينَ" .. فالؤمن بعته الله مبشراً بالنصر والتمكين، لا منفراً ولا معسراً ؟

✽ خلاصاء الأنبياء في مثل هذا الميدان :

وشرع الرسول - ﷺ - يتابع أخبار بني قريظة من حين إلى آخر بعدما نقضوا العهد، فلا يأمن أن ينقضوا على ضعفاء المسلمين أو أن يعملوا النهب والسلب في المدينة، وقد عهدهم أهل غدر وخيانة . فأرسل الزبير يخبره بخبرهم .

وقد قال رسول الله - ﷺ - : "يَوْمَ الْأَحْزَابِ : "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟" ، يقصد قريظة فقال الزبيرُ : أنا.. ثُمَّ قَالَ : "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟" .. فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا.. ثُمَّ قَالَ : "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟" .. فَقَالَ الزُّبَيْرُ : أَنَا ..

✽ فقال النبي - ﷺ - : "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ" [البخاري : (٣٨٠٤)] .

والحواريون هم خلاصاء الأنبياء وأنصارهم، قيل لناصر نبيه حواريٍّ، إذا بالغ في نصرته تشبيهاً بأنصار عيسى عليه السلام .

✽ وعن عبد الله بن الزبير، قال :

كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النَّسَاءِ، فَظَعَرْتُ، فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ : يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ .. قَالَ : أَوَهْلَ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : "مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ ؟" ، فَأَنْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ، جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَبُوهُ فَقَالَ : "فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" [البخاري : (٣٤٤٢)] !

في مثل هذه الميادين يظهر الحواريون وخلاصاء النبي - ﷺ - ، ليس في ميدان الكلام والجدل، إنما في ميدان الجهاد والعمل . ومن أجل هذه الخدمة الجسيمة التي أداها الزبير وقيامه على هذا الشجر العظيم ومتابعة هذه الثلثة الخطيرة؛ نال الزبير هذا الوسام العظيم : "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ"، "فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" !!! فأحرى بكل مسلم أن يدرك ما أقامه الله عليه من ثغور المسلمين . ولا يستقل دوره، ولا يقل : إني فردٌ، بل ليقُل : إني على ثغر .

وهكذا كان الأبناء يرون مكان الآباء .. الإبن " عبد الله " في الحصن يلحظ أباه " الزبير " يتردد بين الشمال حيث الخندق والجنوب حيث قريظة، يتابع خبر القوم، ويطرصد للمسلمين من أخبار اليهود، هكذا كان الآباء يمثلون إعجاب الأبناء، وهكذا نشأ الأبناء في بيئة الجهاد والعمل لهذا الدين .

وفي هذا المشهد العجيب الذي نزل فيه رسول الله - ﷺ - على رأي جنده رغم تباين رأيه مع رأيهم؛ نرى أنموذج القائد الحكيم الذي عرف دوافع كل جيش من جيوش الأحزاب، فمنهم من جاء طلباً للثأر، ومنهم من يحارب الإسلام عن عقيدة، ومنهم من يُحارب ليأكل ويسلب، وهؤلاء كغطفان، فأراد رسول الله - ﷺ - أن يدفع شر هؤلاء بلعاعة من الدنيا، وأن يستخدمهم كأداة للتخذيّل وبث الفرقة بين جيوش الأحزاب، فهو لا زال يفكر في وسيلة ناجعة للتخذيّل والتفريق بين العدو، ولكن الله اختار وسيلة أخرى ليست جيشاً بل فرداً هو نعيم بن مسعود، وسنعرّفه في فقرة تالية.

وفي هذا المشهد نرى الأريحية والسهولة في اتخاذ القرار بين القائد وأهل الحل والعقد، إذ رأيت أن القائد اتخذ قراراً صحيحاً لدفع الأحزاب، بينما رأى أهل الحل والعقد رأياً هو الأنسب لطبيعة الأنصار القتالية، فنزل القائد على رأيهم دون تعسف أو استئثار بالرأي، وهو من هو، هو النبي المصطفى، الذي لا ينطق عن الهوى؛ ليقرر أن الشورى فوق الجميع، مفازةً ونجاةً للكبير والصغير والشيخ والرضيع.

وانظر إلى إباء هؤلاء الأنصار رضي الله عنهم، ورفضهم الضيم والذل والدون.. هؤلاء البواسل يضربون المثل للأمة ألا ترضى بالمذلة، ويضربون المثل القارص لهؤلاء الذين رضوا أن يكونوا في ركاب العدو، وقد باعوا أوطانهم وأعراضهم بثمان بخس، كهؤلاء الذين يُفادّون على مقدسات المسلمين من أجل حفنة من الدولارات يأكلونها من العدو ويخرجون للأمة برداء الحكماء الحصفاء، وهم والله الجهلاء السخفاء الخلعاء وهيهات! لا يدفع الضيم الدليل، ولا يُدرك المجد الخائنُ العميل!

﴿ حركّة (نعيم) في تفريق جيش التحالف: ﴾

وفي ظل هذه الظروف الشديدة القاسية، يأتي النصر من حيث لا يحتسب المتقون.

فقد أسلم نعيم بن مسعود أحد زعماء غطفان!!

كانوا بالأمس يفاوضهم رسول الله - ﷺ - على الرجوع إلى ديارهم فيرفضون إلا الرجوع بنصف ثمار المدينة .. والآن ساقهم الله إلى الإسلام من غير عناء ولا تفاوض ولا كلفة! إنها قدرة الله!

فَأَتَىٰ نُعَيْمٌ رَّسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْتَ!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :

"إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذَلْنَا عَنْكَ إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ".

فَخَرَجَ نَعِيمٌ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَكَانَ هُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ : يَا بَنِي قُرَيْظَةَ ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لِأَكُمُ ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .

﴿ قَالُوا : صَدَقْتَ ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّبِعٍ .

﴿ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا بِكُنْتُمْ، الْبَلَدُ بِلَدِكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَنِسَاؤُكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحْوِلُوا مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ
مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرَتْهُمْ عَلَيْهِ وَبِلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بَعِيرُهُ، فَلَيْسُوا
كَأَنْتُمْ فَإِنْ رَأَوْا نُهْرَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لِحَقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
مُحَمَّدٍ.. فَلَا تَقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ
ثَبَّةً لَكُمْ، عَلَى أَنْ تَقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُنَاجِزُوهُ.﴾

﴿فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرَّتْ بِالرَّأْيِ..﴾ [ابن هشام ٢ / ٢٢٨]

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا ، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ :
 قَدْ عَرَفْتُمْ وَدِّيَ لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّدًا ، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتَ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أَبْلِغَكُمْوهُ
 نَصَحًا لَكُمْ فَاتَّكُمُوا عَنِّي ..

~~فَقَالُوا~~ : نَفَعُ .

﴿قَالَ: تَعْلَمُوا أَنَّ مَعَشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ إِنَّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا ، فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ نَأْخُذَ لَكَ مِنَ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَظْفَانَ رَجُلًا مِّنْ أَشْرَافِهِمْ فَنَعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمَّ تَكُونُ مَعَكَ عَلَى مَنِّ بَقِيٍّ مِنْهُمْ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُمْ ؟ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَنْ نَعَمْ فَإِنْ بَعَثْتَ إِلَيْكُم يَهُودٌ يَدْلِتُمُسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا

مِنْ رِّجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا. [ابن هشام ٢ / ٢٢٨]

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى غَطَفَانَ ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ ، إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهَمُونِي ..

﴿ قَالُوا : صَدَقْتَ ، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّبَعٍ .

﴿ قَالَ : فَاتَّبِعُوا عَنِّي ؛ قَالُوا : نَفْعَلُ فَمَا أَمْرُكَ ؟

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذَرَهُمْ مَا حَذَرَهُمْ [ابن هشام ٢ / ٢٢٨]

﴿ وصدق رسول الله - ﷺ - : "الحرب خدعة" [البخاري : (٢٨٠٥)] ، أي قد

تنقلب دفة القتال بحيلة أو خدعة، والحيلة تُجْزىء ما لا تُجْزىء القوة، وهو يشير أيضًا إلى جواز الكذب على العدو وإيقاعه في الفخ والاحتيال عليه بحيلة .

وعلى أثر حيلة "نُعَيْمَ بْنِ مَسْعُودٍ"؛ انخذلت جيوش التحالف، ودبت الفرقة بينهم، وهو الخير للمسلمين . فإذا انتفت الثقة من جماعة انتفت على أثر ذلك قوتهم وذهبت ريحهم .

وبعث الله الريح والملائكة على جيوش التحالف فزاد ضعفهم، واشتدت رغبتهم في الرحيل، وعزموا على ترك المدينة، وفي ذلك يقول الله تعالى - ممتناً على عباده - :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ

تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩].

وهنا نرى العناية الإلهية، ويد الله تحرك رحي الحروب، ويرسل سبحانه الريح والشواظ على من يشاء فلا ينتصر أحد إلا بإذنه، ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .. إن هذه المعية الربانية لا تُستنزَل إلا بالتقوى والتضرع إلى الله، كما في بدر، "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم" . وفي ذلك أيضًا درسٌ للأمة كلها؛ إذا عرفت ربها في الرخاء عرفها الله في الشدة .

ثم أنت ترى في هذا المشهد أهمية " دور الفرد المسلم " في خدمة الإسلام، فهذا نعيم وهو رجل واحد جنب الأمة الإسلامية شرًا مستطيرًا .. إن لنعيم - رضي الله عنه - فضلًا ويدًا على كل مسلم منذ يوم الأحزاب وحتى قيام الساعة ! هذه هي حركة نعيم فما هي حركتك أنت ؟!

﴿ انصراف الأحزاب :

ولما انتهى إلى رسول الله - ﷺ - ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ،

دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم كيلاً .

﴿ قَالَ حَدِيثُكُمْ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِالْخَنْدَقِ وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - هُوِيًّا مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيْنَا، فَقَالَ : "مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ، أَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟" .. فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ .. !
فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ ، دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْفِيَامِ حِينَ دَعَانِي ؛
فَقَالَ :

"يَا حَذِيقَةُ اذْهَبْ فَادْخُلِي فِي الْقَوْمِ ، فَانْظُرِي مَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَلَا تُحَدِّثِي شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا ."
 قَالَ : فَذَهَبَتْ فَدَخَلَتْ فِي الْقَوْمِ ، وَالرَّيْحُ وَجُنُودُ اللَّهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ ؛ لَا يُقَرُّ لَهُمْ قَدَرًا وَلَا نَارًا وَلَا بِنَاءً . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ : لِيَنْظُرَ أَمْرٌ مِّنْ جَلِيسِهِ ؟ قَالَ حَذِيقَةُ : فَأَخَذَتْ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي ، فَقُلْتُ : مَنِ أَنْتَ ؟ قَالَ :
 فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ !

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام! لقد هلك الكراع والخف^(١)، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمين لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله - ﷺ - إلي أن لا أحدث شيئاً حتى تأتيني لقتلته بسهم.

وَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ^(٢) لِبَعْضِ نِسَائِهِ مَرَجُلٌ [والمراجل هو الثياب اليمني]. فَلَمَّا رَأَى أَنِّي أَدْخَلْنِي إِلَى رِجْلَيْهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرَفَ الْمِرْطِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ وَإِنِّي لِفِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ؛ أَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ. وَسَمِعْتُ غَطْفَانَ بِمَا فَعَلْتُ قُرَيْشَ، فَأَنْشَمُرُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ [ابن هشام ٢ / ٢٣٢].

وَيُعْبَرُ هَذَا الْمَشْهَدُ عَنْ مَدَى الْمَعَانَاةِ الَّتِي كَانَ الصَّحَابَةُ يِعَانُونَهَا، إِذْ لَمَّا دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى تَرْصُدِ الْأَحْزَابِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الرَّاصِدُ رَفِيقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي الْجَنَّةِ - فَمَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، "مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَشِدَّةِ الْجُوعِ، وَشِدَّةِ الْبَرْدِ" ..!

(١) الكراع: الخيل، والخف: الإبل

(٢) المرط: - بكسر الميم - كساء من صوف

لقد كان الواحد منهم يُكَلِّفُ بحفر ثلاثة أمتار مكعبة يوميًا من الخندق، أيام الحفر، ثم هو يكابد شدة البرد، وشدة الجوع، وشدة الحرب، وشدة الحصار .. لقد بلغ التعب منهم مبلغًا عظيمًا. وفي هذا الجو نرى رسول الله - ﷺ - قائمًا يصلي قانتًا يتضرع لربه، فلما لم يقيم لأمره هذا رجل، وجه التكليف صوب حذيفة، قال حذيفة: " فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي " .. وكذلك الجندي المسلم لا ينفك عن إجابة القائد إذا كلفه، ولا بد له من القيام للأمر إذا دعاه القائد، فطاعته واجبة، ومن أطاع الأمير المسلم في معروف فقد أطاع الله . وكان نص التكليف الذي حفظه حذيفة عن قائده عن ظهر قلب: " يَا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنَا . " فاستجاب الجندي لأمر قائده استجابة حرفية، فذهب، ودخل في جيش المشركين، ونظر ما يصنعون، وكان في استطاعته أن يقتل أبا سفيان؛ ولكنه وعى التكليف جيدًا ولا زال صوت رسول الله يتردد في أذنيه: " لَا تُحَدِّثَنَّ شَيْئًا " .. قال حذيفة: " وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَيَّ أَنْ لَا تُحَدِّثَ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي لَقَتَلْتَهُ بِسَهْمٍ " .

وانظر - أخي - لقد سمى التكليف عهدًا، فقال: " وَلَوْلَا عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَيَّ "، إنه يُعَلِي من شأن تعليمات الأمير، فليست تكليفات الأمام كتكليفات بعضنا لبعض في النصح والبر ونحو ذلك، إنها عهدًا وعقدًا وميثاقًا، فعلاقة القائد بجنده والأمير بجيشه، علاقة الرأس من الجسد، وما بينهما من وشيجة الإيمان أقوى من العروة الوثقى .

ولقد كان اختيار رسول الله - ﷺ - اختيارًا موفقًا .. إن القائد يعرف جنوده وإمكاناتهم ومستويات نبوغهم وذكاءهم .. فتأمل مثلاً، لما قام أبو سفيان فقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: لِيَنْظُرَ امْرُؤٌ مَنَ جَلِيسُهُ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذَتْ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ!

لقد تصرف حذيفة بحكمة في السرعة، وسرعة في الحكمة، وبادر هو بالسؤال عن جلسيه، فانشغل الجليس بتعريف نفسه؛ فلم يفتضح أمر حذيفة؛ لقد كان المسلم دومًا أريًا لبيبًا .

✍ شُكْرُ اللَّهِ عَلَى النِّصْرِ:

فلما فَصَلَ حذيفةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسَائِهِ، فلما رآه النبي، أَدْخَلَهُ إِلَى رِجْلَيْهِ، وَهُوَ الرِّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ، وَطَرَحَ عَلَيْهِ طَرَفَ الْمِرْطِ، لِيُدْفِءَ حذيفةَ، وَهُوَ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، يَخْفِضُ لَهُمُ الْجَنَاحَ، فَلَا يَرُونَ مِنْهُ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ - ﷺ - وَحَذِيفَةُ مُتَلَفِعٌ بِطَرَفِ الْمِرْطِ، بَيْنَ رِجْلَيْ النَّبِيِّ - مِنْ خَلْفِهِ -، فَلَمَّا أَتَمَّ الصَّلَاةَ، أَخْبَرَهُ حَذِيفَةُ الْخَبَرَ، وَأَنَّ الْأَحْزَابَ فِي ارْتِحَالٍ، وَقَدْ أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ - قَبِيلَ ذَلِكَ - فَبَشَّرَهُ أَنَّ اللَّهَ يَرْسِلُ عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَنُودًا، وَأَعْلَمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَصَارَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ قَائِلًا :

"شكراً! شكراً!!" [الحلي ٢ / ٦٢٨]. وهنا قال النبي ﷺ - مبشراً: "الآن نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ" [البخاري: (٣٨٠١)، عن سليمان بن صُرد].

~~✍~~ وأخذ يردد مراراً :

"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَغَلَبَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ" [البخاري: (٣٨٠٥)].

فهي ساعة يمتحن الله فيها الدولة المنتصرة؛ أتشكر أم تكفر، فمن الناس من يرزقهم الله النصر وقد كانوا من قبل إلى الله يتضرعون، فلما جاءهم نصر الله إذا هم ينسون ويبغون، وينسبون الفضل إلى أنفسهم، ويقولون في أبواق الأعلام : نجحت قواتنا .. وانتصرنا بفضل شجاعتنا .. بفضل سلاحنا.. وينسون صاحب الفضل وواهب الرزق، سبحانه، يُعز من يشاء وبذل من يشاء، وهو القائل : "لأن شكرتم لأزيدنكم" .

✍ معاقبة بني قريظة ^(١) :

ولما انكشفت الغمة، ورجعت الأحزاب، تنفس المسلمون الصعداء، ورجع النبي ﷺ - مِنْ الْخُنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاعْتَسَلَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ؟ ! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ! فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ ! قَالَ: " فَلَئِنْ أَتَيْتُكَ ؟ " قَالَ: هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. [البخاري، برقم: (٣٨٠٨)]

(١) طالع بالتفصيل ما كتبناه عن غزوة بني قريظة في كتابنا "غزوات الرسول ﷺ دروس في آداب الحرب والسلام"

❦ **وقال:** إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بهم حصونهم. فدعا رسول الله ﷺ علياً - رضي الله عنه فدفع إليه لواءه وبعث بلالاً فنادى في الناس.. [ابن سعد ٢ / ٧٤]

❦ **فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - للمسلمين - :**
 "لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ" .. فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - فَلَمْ يُعَنْفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ [البخاري، برقم: (٨٩٤)]
 وتحرك الجيش الإسلامي تعلوه القوة والمهابة زاحفاً نحو بني قريظة، قال أنس رضي الله عنه:

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكِبَ جِرِيلٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ" [البخاري: (٣٨٠٨) .

واستخلف رسول الله - ﷺ - على المدينة عبد الله بن أم مكتوم و سار إليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف، والخيول ستة وثلاثون فرساً، فحاصروهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار، ورموا بالنبل فانجحروا فلم يطلع منهم أحد، فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله - ﷺ - : أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر. فأرسله إليهم فشاوروه في أمرهم فأشار إليهم بيده أنه الذبح ثم ندم فاسترجع وقال: خنت الله ورسوله! فانصرف فارتبط في المسجد ولم يأت رسول الله - ﷺ - حتى أنزل الله توبته، ثم نزلوا على حكم رسول الله [ابن سعد ٢ / ٧٤]. فوكل أمرهم إلى سعد بن معاذ حليفهم . وارتضت قريظة به حكماً ..

لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى جِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : " قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ" .. فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ : " إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَيَّ حُكْمَكَ " [البخاري: (٢٨١٦) ..

❦ **قال سعد:** " فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسَبَى الدُّرَّةُ " .

❦ **فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - :** " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ " [البخاري (٢٨١٦)]

وعن عائشة قالت: لم يقتل من نسائهم تعني بني قريظة إلا امرأة إنها لعندي تحدث
تضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله - ﷺ - يقتل رجالهم بالسيوف إذ هتف هاتف
باسمها أين فلانة، قالت: أنا قلت وما شأنك؟ قالت: حدث أحدثه.. قالت:
فانطلق بها فضربت عنقها فما أنسى عجباً منها أنها تضحك ظهراً وبطناً وقد علمت أنها
تقتل [أبو داود (٢٦٧١)، وحسنه الألباني].

لقد كانت غزوة الأحزاب موعظة ورحمة لقوم يؤمنون بناموس الله: "إن مع العسر يسراً". وليعلم المسلم أن المصائب والرزايا إذا توالى أعقبها الخير، وعند تناهي الكرب يكون الفرج، وعند تضايق الحال يكون الرخاء؛ شريطة أن يصدق المسلم ربه، ويثبت ويصبر ويطيع، و"سيجعل الله بعد عسر يسراً"، وينشر الله رحمته وهو الولي الحميد.

إن الأمور إذا اشتدت مسالكها... فالصبر يفتح منها كل ما رتجا

ومن ثم أوصيك أن تبحث وتسعى إلى عمل يتمخض عن خدمة جليلة للإسلام .
فابحث وابحث وابحث . وتَعَلَّمْ وتَعَلَّمْ وتَعَلَّمْ . واعمل واعمل واعمل . فدينك
دينك، لحمك دمك !

مدراسة سورة الأحزاب

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :
 بعث النبي - ﷺ - خيلاً قبل نجد، فجاءت
 برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه
 بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي - ﷺ - فقال :
 " ما عندك يا ثمامة ؟ " .

إسلام ثمامة بن أثال

فقال: عندي خير يا محمد ! إن تقتلني تقتل ذا دم،
 وإن تنعم تنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما

شئت .

فترك حتى كان الغد ثم قال له :

" ما عندك يا ثمامة ؟ " .

فقال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكِر !

فتركه حتى كان بعد الغد فقال :

" ما عندك يا ثمامة ؟ " .

فقالك عندي ما قلت لك !

فقال : " أطلقوا ثمامة .. "

فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا
 إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ! يا محمد ! والله، ما كان على الأرض وجه
 أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين
 أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من
 بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي. وإن خيلك أخدمني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى ؟

فبشره رسول الله - ﷺ - وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة، قال له قائل : صبوت ؟ !

قال : لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله - ﷺ -، ولا، والله لا يأتكم من اليمامة
 حبة حنطة حتى يأتكم فيها النبي - ﷺ - [البخاري : ٤٠٢٤]

حول القصة

كانت سرية محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - هي أول عمل عسكري بعد غزوة
 الأحزاب وقريظة، وقد تحركت هذه السرية [في المحرم من العام السادس للهجرة] في

مهمة عسكرية ضد بني القرطاء في أرض نجد .. وفي طريق عودة السرية؛ تم أسر
ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة، والصحابه لا يعرفونه، فقدموا به المدينة وربطوه
بسارية من سوارى المسجد، فلما خرج إليه رسول الله - ﷺ - قال :

"أَتَذَرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ؟ هَذَا ثَمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنْفِيُّ، أَحْسِنُوا إِسَارَهُ" [ابن هشام

[٦٣٨ / ٢]

ورجع رسول الله ﷺ - إلى أهله، فقال لهم :

"اجْعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ" .. وقد أمر - ﷺ - بِلِقَاحَتِهِ ^(١) أَنْ

يشرب ثمامة من حليبها.

ولازال رسول الله - ﷺ - يتودد إليه ويتردد عليه، ويدعوه إلى الإسلام، ثم أمر أصحابه بفك أسر ثمانية.

فذهب ثمانية من تلقاء نفسه إلى نخل قريب من المسجد النبوي - ولم يذهب إلى أهله - ومن تلقاء نفسه - أيضًا - ، اغتسل غُسل المسلمين ، فلقد هزته الأخلاق المحمدية هزًّا عنيفًا ، فملكته عليه زمام قلبه ، وأسرته في أسر جديد !

ثم قدم إلى المسجد هذه المرة على قدم وساق، بنفسه، قد هطلت على وجهه مُزنة الإيمان، وتهللت أساريه بشاشة ووضائه، وإذا به ينطق كلمات ما أجملها ! صَدَّرها بشهادة التوحيد، وثَنَّاها بكلمة حق، وأعقبها بكلمة حب، وختمها باستئذان، فقد قصد العمرة، وكأنها هو جندي من أجناد الدعوة الإسلامية في عشية أو ضحاها، فأذن له قائده الذي أسره مرتين ! رهبًا ثم رغبًا، ثم علَّمه أستاذه صفة العمرة على منهج التوحيد، ولقنه التلبية خالية من الشرك، ناقية طيبة .

وانتشر خبر إسلام ثمامة، سيد اليمامة، فلما قدم مكة، عيره رجلٌ قرشيٌّ قائلاً :
أصبوت؟! أي أكفرت بدين الآباء؟! فقال - قوله من أطلع غضارة الإيمان - : "لا،
وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ ". وهكذا يعلنه هويته بين ظهراي قریش -
فهو السيد القوي صاحب العزيمة - ويعتز بدينه، ويفتخره بعقيدته، والله العزة
ولرسوله وللمؤمنين..

(۱) ناقله .

ثم يأخذ قراره، ويعلن موقف اليمامة المسلمة، من قريش الجائرة :

" وَلَا، وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ - ﷺ " .

فهي المقاطعة لمن حاد الله ورسوله ..

المقاطعة لمن حاربوا الإسلام ..

المقاطعة لمن عذبوا المسلمين وفتنهم في دينهم ..

فقد أيقن ثمامة أن واضع المعروف في غير أهله؛ كالزراع في السَّبخ، أو كالمُسرج في

الشمس .. وأن التعاون التجاري أولى به قبائل أخرى ذات أخلاق سجيحة.

لقد لقنهم ثمامة الدرس، وأصاب المفضل فيهم، وشل اقتصادهم، وجعل عيشهم

رَئَق، وعذبهم أجاج، وحلوهم صَبْر .. حتى أصابهم الضنح والضجر، فأرسل وجهاء

قريش إلى رسول الله - ﷺ - يسألونه بأراحهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلي لهم حمل

الطعام .

﴿ أدلتا أخرى على شرعية المقاطعة الاقتصادية لمنتجات الأعداء :

وإن المقاطعة الاقتصادية لبضائع الأعداء يدخل فيها - أيضاً - قول النبي - ﷺ -

جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ " [النسائي : ٣٠٤٥، عن أنس،

وصححه الألباني، حديث رقم : ٣٠٩٠ في صحيح الجامع].

والجهاد بالمال، ذلكم الفريضة - له وجهان :

وجه إيجابي بدفع المال، لتجهيز الجيش الإسلامي المحارب في الميدان أو المرابط في

الثغور .

ووجه سلبي بمنع المال، أي بعدم شراء بضائع الأعداء، وقطع أي تعامل تجاري مع

العدو ..

﴿ هذا، وقد قال الله تعالى :

﴿ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ [التوبة: ٥]

وهذا نص صريح يأمر الله فيه بالتضييق على المعتدين، وحصرهم، وبذل شتى

السبل الشرعية لدفع عدوانهم ..

﴿ قال القرطبي : " (واحصروهم) أي : امنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام،

حتى تضيقوا محلهم الواسع [تفسير القرطبي ٦ / ٣٢٠] ..

﴿الموقف الأول : حصاره ليهود بني قينقاع في معركته معهم في ١٥ شوال سنة ٢هـ / ٩ إبريل ٦٢٤. جراء ما صدر منهم من جريمة نكراء، قد تواطئوا فيها على كشف عورة سيدة مسلمة في مكان عام. وتواطئهم في قتل رجل مسلم، دافع عن عرض السيدة المسلمة وحاول رد العدوان

﴿الموقف الثاني : حصاره - ﷺ - ليهود بني النضير في معركته معهم في ربيع الأول سنة ٤ هـ / أغسطس ٦٢٥ م ... بعد أن خططوا لعملية اغتيال للنبي - ﷺ -

﴿الموقف الثالث : حصاره - ﷺ - ليهود بني قريظة - لعنهم الله - في معركته معهم في (ذي القعدة ٥ هـ / إبريل ٦٢٧ م)، بعدما خانوا أهل المدينة وتحالفوا مع المحتل أثناء معركة الأحزاب.

﴿الحكم الشرعي في التعامل التجاري مع العدو وبناء على ما سبق نقول :

١ - إن الأصل في طعام أهل الكتاب هو الحل، لقوله تعالى : ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

ومن ثم فلا جناح على المسلمين في التعامل التجاري معهم، ما داموا لم يقاتلوا المسلمين.

قال الله تعالى : ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

٢ - بيد أنه لا يجوز التعامل التجاري أو عقد اتفاقات اقتصادية مع الأعداء أو المحاربين للمسلمين أو المحتلين للأرض الإسلامية فضلاً عن حرمة شراء منتجات العدو وتوزيعها وشحنها واستيرادها .

قال الله تعالى :

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]

ومن ثم لا يجوز التعامل التجاري مع مصنع أو شركة أو مؤسسة تابع للعدو حتى ولو لم تمد الجيش المعتدي المحارب بمعونة أو سلاح ..

فشركة "ماكدونالدز" - على سبيل المثال - تخصص ريع أيام معينة في السنة لصالح الجيش الصهيوني، وهذا في جميع فروعها، ومعنى ذلك أن المسلم الذي اشترى طعامًا من هذا المطعم؛ فإنه قد شارك يقيناً في قتل مسلم أو أسر مسلم أو هدم مسجد في فلسطين !



٢- أن تطالب أولياء الأمور والسياسة والقادة بأن يساندوا شعب فلسطين المسلم، فهم - أي أولياء الأمور - أولى الناس بالتبعة، وأن يجلبو حوبته المستضعفين، ويكشفوا كربة المكروبين، لاسيما والمسلمون في بقاع الأرض - كما قال معاوية بن أبي سفيان: "بين شريد نادٍ، وخائف منقمع، وساكت مكعوم، وداع مخلص، وموجع ثكلان..".

٣- أن تحذّر سفهاء الأحلام الذين جعلوا من مقاطعة الأعداء بدعة، من مغبة ظلمهم لأخوانهم بهذا القول الشنيع، فالخرس خير من الخلابّة، والبكم خير من البذاء. ألا يرفعوا ! ألا يتخوفون قارعة تحل بهم جراء تقصيرهم !

٤- أن تحذّر من خطورة الاعتراف بأي حق مزعوم للصهاينة في فلسطين، فالاعتراف لهم بذلك خيانة، والسكوت عن ذلك أشر من الدياثة، ولقد أصدر علماء الأزهر فتوى في الأول من يناير عام ١٩٥٦ جاء فيها :

(أ) لا يجوز الصلح مع اليهود أعداء الله، مغتصبي فلسطين

(ب) لا يجوز الدخول معهم في مشروعات استثمارية

(ج) لا يجوز الدخول في تحالفات مع الدول التي تدعم الكيان الصهيوني ..

٥- أن تنشر قوائم المنتجات المحرمة، والمقرر مقاطعتها، انشرها بين الناس، علّقها، انسخها، مستخدمًا كافة وسائل التواصل والاتصال والنشر والطبع، فأحرى بك ألا تطعم طعامًا من صنع أعدائك، وهم يقتلون إخوانك، وإخوانك يتضاغون جوعًا من الحصار، قد قرحت أشداقهم، وجفت بطونهم، ونقّ عظامهم، وقد ضعفتهم النوائب، وعقرتهم المصائب . فكن للضعفاء كالظّليم الرامح عن فراخه .

٦- أن تهتم بقضية المسلمين في فلسطين وفي غيرها من بلدان الإستضعاف، وقد جاء في الأثر : " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم "، فتستطيع أن تنشر القضية الفلسطينية فيمن حولك .. انشر قضية إخوانك المستضعفين وحث الناس على دعمهم، والجهاد بالنفس والمال واللسان في سبيل الله، .. ومع كلال الحُدّ ونضيض الوفر عند إخواننا، يشتد علينا واجب النجدة، وفرض النصر . ذكر أهلك وأولادك وأقاربك، حث أصحابك وزملائك، راسل الصحف والمجلات ومواقع الشبكة العنكبوتية، شارك بمقالة أو بمشاركة صغيرة .. شارك في المنتديات والمدونات، أو صمم مدونة بنفسك على الإنترنت تبث منها القضية، وذكر شباب المسلمين بقضية فلسطين، شارك - قدر استطاعتك - في جميع الفعاليات المعنية بالقضية الفلسطينية من مؤتمرات وندوات ومحاضرات، إن هذه الفعاليات تعطي دعمًا معنويًا كبيرًا لشعبنا في فلسطين.

الفصل التاسع

الفتح



صلح الحُدَيْيَّةِ

ذو القعدة ٦ هـ

-ماركس وماركس

وخرجت معه جماعةٌ من الأعراب وجبن أكثرهم، لخطورة الرحلة، وظنوا أن رسول الله ﷺ - مقتولٌ في هذه الرحلة لا محالة، فقد ذهب إلى الموت بقدميه - بزعمهم - ، وعلقوا تخلفهم عن رسول الله ﷺ - على شناعة الانشغال بالتجارة وتربية العيال، وقد فضحهم الله تعالى، فقال :

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفتح: ١١، ١٢].

✍ الشوری :

تحرك رسول الله ﷺ - بأصحابه، أمامه الهدي، وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة (أي من أبار علي)، حتى تعلم العربُ عامةً وقريشٌ خاصةً أنه جاء معظمًا للبيت، قاصداً العمرة، وأنه لا يريد قتالاً، ومن ذي الحليفة أرسل النبي ﷺ - رجلاً من أصحابه يجمعُ له المعلومات عن قريش.

وسار النبي ﷺ - مُحْرَمًا - حتى إذا كان قريبًا من عُسْفَانَ - وهي تبعد عن مكة مسافة ثمانين كيلو مترًا تقريبًا - أتاه هذا الرجل (الاستخباراتي) فقال للنبي ﷺ :-
 إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُوكَ عَنْ
 الْبَيْتِ، وَمَانِعُوكَ.

هنالك قال النبي - ﷺ - :

" أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ ! أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوَنَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مُحْرَوِّينَ ؟ " .

قال أبو بكر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ!

فَقَالَ : " امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ " [البخاري: برقم ٣٨٦٠]

تلحظ في هذا المشهد أن النبي - ﷺ - طلب المشورة كما هي سنته الكريمة، وقد قال أبو هريرة : " مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - " .^(١)

وتلحظ أيضًا أن رأي النبي - ﷺ - هو الهجوم على ذراري القوم؛ فينشغلوا بأنفسهم عن صد المسلمين عن البيت الحرام، وتكون رقبة مشرقة قد قطعها الله .

واستشار النبي - ﷺ - أصحابه في ذلك، فأشار أبو بكر بغير هذا الرأي، ونصح قائده بالدخول السلمي، وذلك لحساسية الزمان والمكان، فالزمان شهر حرام، والمكان أرض حرام، ولكن مَنْ صَدَّنَا عَنِ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ ! فنزل النبي - ﷺ - على رأي أبي بكر .

وفي ذلك إشارة إلى لين عريكته - ﷺ - مع جنده، وخفضه جناحه لهم، وسعة صدره لمقترحاتهم، كما أن هذا السلوك الكريم الذي صدر من النبي - ﷺ - هو تطبيق عملي لأمر الله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وهو أمرٌ لكل ولي أمر، الرئيس والوزير، والقائد والغفير، الأب في أسرته، الناظر في مدرسته، المدير في إدارته، ينادى الحق - تبارك وتعالى - عليهم جميعًا : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

طريقة أخرى :

لا زال النبي - ﷺ - في طريقه إلى مكة .

